قدماه فقيل له أتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال
أفلا أكون عبدا شكورا وفي رواية لهما عن عائشة قام نبي الله صلى الله عليه وسلم حتى
تورمت قدماه وفي رواية حتى تفطرت قدماه فقلت له لم تصنع هذا وقد غفر الله لك
ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبدا شكورا فلما بدن وكثر لحمه صلى
جالسا فإذا أراد أن يركع قام فقرأ ثم ركع والفاء للسببية والتقدير أأترك تهجدي
فلا أكون عبدا شكورا والمعنى أن المغفرة سبب لكون التهجد لمحض الشكر فكيف أتركه قال
ابن بطال شارح البخاري في هذا الحديث أخذ الإنسان على نفسه بالشدة في العبادة
وإن أضر ذلك ببدنه لأنه صلى الله عليه وسلم إذا فعل ذلك مع علمه بما سبق له فكيف
بمن لم يعلم بذلك فضلا عمن لم يأمن أنه استحق النار انتهى قال بعض المفسرين قام صلى الله
عليه وسلم طول ليله على قدميه إلا قليلا فلما تورمت قدماه كان يقف على أطراف أصابعه
فأنزل الله عليه طه أي طأ الأرض بكل قدميك واسترح مما أنت فيه من التعب
فإنا ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى **إذ** أي وقت أو لأجل أنه **رمى بها ظلم الليل**
فيه استعارة بالكناية شبه القدم الشريفة بسهم صائب من حيث أن قيام
القدم في طاعة الله أوجبت زوال ظلمة الليل ووحشته كما أن رمي السهم في
طاعة الله يزيل سورة عدوه وطاقته فتشبيه القدم بالسهم في ذلك استعارة
بالكناية لبنائها على التشبيه المكني في النفس وإثبات الرمي لها استعارة تخييلية
وبهذا التقرير البديع المبني للباء على حالها يندفع زعم الشارح أنها بمعنى من أو عن

وانه

وانه لا يصح بقاؤها على حالها ولما كان قيام الليل كذلك ينشأ إما من مزيد خوف
أو سعة رجاء بين الناظم رحمه الله تعالى أن قيامه صلى الله عليه وسلم
لم يكن لأجل ذلك وإنما كان لمحض الشكر كما أفاده قوله أفلا أكون عبدا شكورا
مع التلذذ بمناجاة الله والقيام بين يديه وأن خوفه ورجاءه اللذين وصل
فيهما إلى غاية لم يصل إليه غيره إنما كانا لمحض بهما إلى الله تعالى فقال **إلى الله** خبر مقدم
خوفه منه قال صلى الله عليه وسلم أنا أعلمكم بالله وأخوفكم منه **والرجاء**
أي وسعة أمله فيما عنده لا إلى غرض آخر لأن الله عصمه عن أن ينظر أو يميل إلى
غيره طرفة عين بل هو دائم المثول في حضرات الشهود الأقدس والتمتع بمعالي
القرب الأنفس ووقع للشارح حمل هذا البيت على خلاف ما ذكرته وما ذكرته
أولى بمقامه صلى الله عليه وسلم كما لا يخفى على متأمل ثم رأيت القرطبي أشار إلى
ما ذكرته حيث قال ظن من سأله في حديث الصحيحين المذكور عن سبب
تحمله المشقة في العبادة أنه صلى الله عليه وسلم إنما يعبد الله خوفا من الذنوب
وطلبا للمغفرة والرحمة فمن تحقق أنه غفر له لا يحتاج إلى ذلك فأفادهم أن هنا
طريقا آخر وهو الشكر إذ هو الاعتراف بالنعمة والقيام بالخدمة فمن كثر ذلك
منه سمي شكورا لكنه قليل كما قاله تعالى وقليل من عبادي الشكور وفي الحديث
بيان ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من الاجتهاد في العبادة والخشية من
ربه قال العلماء إنما ألزم الأنبياء أنفسهم بشدة الخوف لعلمهم بعظيم نعمة الله

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)